العرب
الخميس 2021/10/07
السنة 44 العدد 12202

# مخرج هائم في خياله يصطحب الجمهور إلى قصص مدهشة

## «كاستينغ».. مسرحية سورية تقدم تحية للسينما بكل تفاصيلها

لا حدود في الفن بين المسرح والسينما، فأحلام مبدع قد تبدأ هنا لتنتهي هناك. في المسرح بوح يقدَّم حارا أمام الناس أما السينما فتجعل بينها وبين جمهورها وسائط، لكن عرض "كاستينغ" يؤكد أن لا حدود صارمة بين الفنين، فهذه المسرحية عبرت حدود الفنون، وسلطت حكايتها على السينما عبر أبطالها الثلاثة الذين تقاطعت مصائرهم في عاصفة من الأحداث.

أزمان وشخصيات متداخلة تحكي عذابات الناس

نضال قوشحة
كاتب سوري

تبدأ أحداث مسرحية "كاستينغ" قبل أن تبدأ. مخرج سينمائي وراء طاولة، يكتب أشياء ويرتشف مشروبا تحوطه شاشة سينمائية كبيرة تعرض مشاهد لأفلام عالمية، بينما يدخل الجمهور إلى الصالة بحركته وصخبه المعتادين. يقرع صوت جرس. يبدأ العرض.

إنه جو المخرج السينمائي الذي يبحث عن بطلة لفيلمه الذي سيصوره قريبا. هو مخرج كبير ينتظر تحقيق فيلم عظيم. تباغته فتاة جميلة وبسيطة، تدخل إلى المكان راغبة في أن تعرض موهبتها عليه. يرفضها كونه على موعد مع عمل طارئ، لكن إلحاحها يدفعه إلى مسايرتها فيقبل. يطلب منها نزع كل ما يشوه شخصية الفتيات في عصرنا من ماكياج وباروكة شعر ولبان تمضغه، فتلتزم الفتاة، وتبدأ اللعبة.

### متاهات في الخيال

رحلة التشويق في العرض بدأت، الفتاة تقدم للمخرج في حوارهما الكثير من تداعياتها وذكرياتها عن حياتها المهنية البسيطة التي لا تتجاوز بعض الأعمال البسيطة والأدوار الثانوية. فهي تعشق فيلما سينمائيا لكنها لا تعرف اسمه، وشاركت في مسرحية أدت فيها شخصية جثة.

تسير الأمور بين الرفض والقبول بمواقف تقترب من الكوميديا، حيث التناقض بين مخرج سينمائي جدي وفتاة بسيطة تحب الفن. وفي حالة التشويق التي تتصاعد مع تقدم الأحداث يطلب المخرج من الفتاة إخباره عن حبيبها الذي انفصلت عنه وسافر بعد أن تركها عاشقة محطمة، ونذهب في رحلة جديدة من التشويق، يصير المخرج جو هو جهاد الحبيب الذي رحل. فيأخذ دوره في الحكاية ويصير في موقف المخاطب. وتبدأ الفتاة في نبش ذكرياتها ومواجعها التي خلفتها علاقتها المضطربة مع حبيبها جهاد.

تبلغ رحلة التشويق سموا عاليا عندما تتكشف بعض تفاصيل حياتها، وكيف استغل جهاد حبها ليقضي برفقتها أوقاتا ممتعة كما سماها، ثم تركها في مواجهة مصيرها المأزوم. في المضمون الأعمق للحكاية نلْفُ لتلك الجروح عن قصص وجراحات خلفتها ذهنية ذكورية طاغية، تجعل من الفتاة المحبة مطية لركوب مهاوي المغامرات التي تصل إلى حد تعاطي المخدرات والسهر وتسليم الجسد حتى تكون النهاية المزيد من التألم ومرارات الهزيمة.

يذهب بنا كاتب ومخرج المسرحية سامر محمد إسماعيل إلى مسافات تشويق أبعد، فيقدم المزيد من لعب الدراما. يقرر المخرج جو أن يجسد مع الفتاة حالة فنان يرسم حبيبته التي لا تراه لأنها أصيبت بحالة عمى مؤقت وتبدأ اللعبة مجددا. تعترض عليه كونه رسمها وهي عارية ولن تسمح بإقامة معرض تظهر فيه بلوحات عارية لأن بيئتها لا تسمح بذلك.

ويكون الصدام في الرؤى ويصبح الجو متوترا أكثر عندما حاول المخرج تقديم دور ممثل يريد أن يلمسها بعد أن ارتدى قناعا فترفض لكنه يقنعها فتتابع. وتصل بحكايتها وآلامها إلى نقطة تعرضت فيها للاغتصاب عندما كانت تمارس عمل بائعة متجولة بعد أن خُدرت. فتحكي عنها، وبعد فورة غضب يسألها: لماذا جئت إلي؟ تهرب من الجواب، يعيد السؤال فتجيب: كي أصبح مشهورة. يعيد بغضب: لماذا جئت؟ وتحت قسوة يديه على جسدها تجيب: كي آتي بالمال وأدفع الفواتير وأعالج أمي وأساعد أهلي وأغير سكني.

يطلب منها المخرج أن ترحل لأنهما لم يتفقا فتطلب منه مشاهدة شيء، تأتي إليه بزجاجة مغلقة، تخبره بأن فيها سائلا حارقا وأن من تعرضوا لها بالأذى رموا عليها هذه المادة وصار جسمها مشوها، وأنها ستنتقم منه وترميه بهذا السائل الحارق، يدب الرعب في المخرج ويخشى أن ترميه بها، وهذا ما يكون في لحظة درامية بلغ فيها العرض أعلى حالات التشويق. فالفتاة أحرقت وجه المخرج. يصيح متألما وينهار حلمه بتحقيق فيلمه، يصيح بأعلى صوته راجيا ألا يقتلوا حلمه في الفن والسينما، يشتمها لكن لا فائدة فما كان كان، وفي لحظة هستيرية منها تخبره بأن المادة ليست سائلا حارقا بل مجرد ماء، يذهل المخرج ويلاحظ أنه لم يتأذى.

تحاصر الدهشة الجمهور وتحيله إلى فراغ مربك، وما هي إلا لحظات حتى يتغير ديكور المكان، فتظهر زوايا بيت مليء بالبوستارات السينمائية. وتدخل زوجة المخرج وهي توبخه على ما فعل مجددا. الصالة تحت سطوة الصمت والدهشة. جو يتخيل كل ما حدث، وكل ما شاهدناه حتى اللحظة هو هواجس جو التي يحياها فقط في أحلامه. تخاطبه بغضب: لن ينتجوا لك هذا الفيلم يجب أن تخرج من الوهم وتكتب نصا آخر وتلغي هذه العادة التي تفعلها يوميا...

### تحية للسينما

حفل العرض بأسلوبية جديدة كان من أهمها التداخلات الزمنية التي ولدتها طبيعة الأحداث في سياق الحكاية. فالأزمنة والشخصيات متداخلة بين الحقيقة والخيال. جوليا شخصية حقيقية في الحياة، لكنها في العرض أمنية في فيلم مبتغى. جو مخرج سينمائي حقيقي لكنه في الحياة مسحور بعالم السينما ويعيش في أحلامها غائبا عن الحقيقة، أما جهاد فهو شخصية غائبة لكنه بآثاره التي تركها حقيقي، ترك ردود أفعال قاسية على جوليا ومحيطها.

كذلك قدم العرض حالة سينوغرافيا حضرت فيها السينما بشكل قوي عبر شاشة احتلت مساحة كبيرة من خلفية المسرح الذي يمثل أستديو تصوير سينمائي ومن ثم منزل شخص شغوف بالسينما. وعلى الشاشة قدمت العديد من المشاهد السينمائية التي أكدت فكرة شغف جو بالسينما.

كذلك ظهر جليا التحدي عند سامر إسماعيل كاتبا للنص بتقديم نمط مختلف في شكل طرح حواملة الفكرية التي سينتهي إليها العرض فقدم أسلوبية مختلفة لا تعتمد مبدأ الحكاية التقليدية، بل توجه نحو تبني شكل درامي اعتمد فيه على ما يتقاطع مع أسلوب التعليب في الطرح الحكائي المسرحي الذي يقدم قصة من خلال قصة، مع تقديم جرعات متصاعدة من حالة التشويق التي استطاع من خلالها الإمساك بدهشة المتلقي حتى نهاية العرض.

يبدو التماهي موجودا بصيغة أو بأخرى بين شخصية جو بطل مسرحية "كاستينغ" وبين كاتبها ومخرجها سامر محمد إسماعيل صاحب مسرحيتي "ليلي داخلي" و"تصحيح ألوان"، وهو الذي يحمل شغف السينما في خياله إلى أبعد درجة. إسماعيل سبق وأن قدم العديد من التجارب السينمائية في سوريا، بدءا من فيلم "سلم إلى دمشق" الذي أخرجه محمد ملص ثم عدد من الأفلام القصيرة منها "توتر عالي" و"على سطح دمشق" ولاحقا سيناريو الفيلم الطويل "مدد" ثم "حنين الذاكرة" و"ما ورد" عن رواية "عندما تقرع الأجراس" للكاتب محمود عبدالواحد وأخيرا قدم فيلم "يحدث في غيابك"، كما قدم في الموسم الفائت أول دراما تلفزيونية طويلة حملت عنوان "ضيوف على الحب".

عمله الإبداعي الأحدث في فن المسرح، لكن التعلق بالسينما موجود في كل تفاصيل العمل، فالحكاية بشخوصها وتفاصيل مكانها تتحدث عن فن السينما. يتحدث سامر إسماعيل عن تماهي الحالة السينمائية مع المسرح في عرضه الحالي قائلا "العرض تحية لفن السينما، لذلك الفن البهي المليء بالجمال، السينما هي الفن الذي قدم لنا الكثير من الحب والحياة، والذي كان له حضور كبير في حياتنا اليومية. ولكن السينما تتراجع اليوم أمام مستحدثات العصر باقتحام منصات العرض لهذا الفن النبيل وفرض سطوتها في شكل العروض وإنتاجه".

**العرض حفل بأسلوبية جديدة كان من أهمها التداخلات الزمنية التي ولّدتها طبيعة الأحداث في سياق الحكاية**

# «مجاريح».. مسرحية تونسية تطرح سؤال الثورة وما بعدها

قابس (تونس) – تعتبر نصوص الكاتب الراحل إبراهيم بن عمر من الكتابات التي شكلت منعرجا كبيرا في الأعمال المسرحية في العشرية الأخيرة وكانت ملهمة لعدد كبير من الفرق المسرحية خاصة في الجنوب التونسي، نظرا إلى تفرد أسلوبه في الكتابة ذات المنحى الوجودي والطرح غير المسبوق في تناولها للتراث العربي، إضافة إلى الأسلوب الساخر الذي يميز جل مسرحياته، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر من أعماله "مجاريح" و"حس القطا" و"جوانح المحبة" و"طواسين" و"زنازين النور".

ومسرحية "مجاريح" التي كتب نصها قبيل رحيله وأودعها أمانة لدى صديقه المخرج حافظ خليفة لم تشذ عن النفس المعتاد في مسرحيات بن عمر، وهو ما اكتشفناه من خلال العرض الأول للمسرحية، الذي قدم أخيرا أمام لجنة المشاهدة من إنتاج لمركز الفنون الدرامية والركحية في قابس وإخراج حافظ خليفة.

والمسرحية من نوع الكوميديا السوداء وفيها طرح جدي للمسرح السياسي بتسليط الضوء على ما آلت إليه أمور البلاد من حال بيروقراطي ومن وعود زائفة للتعويض والمساعدة والتنمية الجهوية، وطرق معاملة الناس من قبل المسؤولين، كما يشاكس العمل الملفات الحارقة في تونس اليوم كاشفا أبرز المشاكل المطروحة في زمننا الحاضر وملامسا هموم الشارع التونسي وحتى العربي من خلال المجال السياسي.

وقد حاول الكاتب ومن خلاله المخرج في هذا العمل تقديم صورة للواقع المعيش دون السقوط في واقعيته النمطية المبتذلة، فركزا على ضياع ملف التنمية الجهوية وزيف وعود السلطة لشعب يعيش ويلات التهميش لسنوات طوال في ظل عدم إيفاء الدولة بوعودها.

يقدم خليفة حكايته من خلال شخصية "حاتم"، هذا الشاب الذي جرح أثناء إحدى المظاهرات؛ حيث كان موجودا بالصدفة مع إحدى المجموعات الشبابية لسرقة علب السجائر من مبنى تجميع السجائر أمام مبنى المحافظة، مغتنما فرصة الفوضى التي تعيشها البلاد، وبسبب الحاجة يقدم على محاولة نهب المقرّ.

وقد هاجمتهم مجموعة من رجال الأمن. وعند محاولته الهروب أطلق عليه أحد القنّاصة رصاصة أصابت مؤخّرته، فسجّل ضمن جرحى الثورة، ولكنه يجد نفسه يطرق أبواب الإدارات والمسؤولين ليأخذ حقه، ومن هنا تنطلق المعاناة الساخرة بين الأروقة وجمعيات حقوق الإنسان والراكبين على الأحداث والمتشدقين باسم الثورة.

قدم حافظ خليفة في هذا العمل رؤية إخراجية متناغمة مع قيمة الطرح الاجتماعي والواقع السياسي المبتذل معتمدا سينوغرافيا مشهدية متحركة تزاوج بين تقنية المشي على العصي وبين خيال الظل وتقاطع الإنارة حسب الفضاءات التي تدور فيها الأحداث، سواء في المكتب أو في أروقته أو في المحكمة، وما زاد في جمالية المشاهد وصدقها بناء الشخصيات وتواصلها والأداء المميز من قبل الممثلين المحترفين الذين اعتمدوا تارة طريقة الكوميديا دي لارتي وتارة الواقعية وتارة أخرى الشخصيات المركبة.

استطاع خليفة أن يوصل صوت الكاتب الراحل إبراهيم بن عمر وأن يبلغ وصيته للعموم بأن جرحى الثورة هم نتاج لدولة فقدت شرعيتها وتواصلت معاناتهم مع دولة فقدت هيبتها، فإلى متى يستمر هذا النزيف وهذا التهميش وهذا التفقير والتحقير؟ وهل من مجيب؟ ومن جانب آخر لا يخشى أن يتساءل أيضا عن هوية هؤلاء الجرحى وإن كانوا فعلا قد ساهموا في الثورة أم هم مجرد لصوص استغلوا الفوضى وتحولوا لاحقا إلى أبطال؟

ويذكر أن هذا العمل من إنتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بقابس، إدارة الإنتاج الفنان مدير المركز صالح الجدي وتمثيل جليلة بن يحي وعبدالباسط بالشاوش وحسان مرّي وفتحي الذهيبي ونادية تليش ومنذر العابد وآدم الجبالي، والتقني المختص في الإنارة رمزي النبيلي وتقني صوت إسماعيل الحفصي، وفي التوضيب العام شرف الدين حمدي ومنسق الإنتاج محسن رحومة وتصميم الملابس مفيدة المرواني والموسيقى لرضا بن منصور.

**الكاتب ومن خلاله المخرج حاولا في هذا العمل تقديم صورة للواقع المعيش دون السقوط في نمطيته المبتذلة**

جمالية الطرح والإخراج